

سورية - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي - خطبة جمعة : هم العدو فاحذرهم

(093) سورة الضحى

2028-02-22

دمشق

جامع عبد الغني النابلسي

ملاحظة : النص تفريغ آلي سيتم إضافة النص المنسق قريباً

نور الدين الاسلامي

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد أهل النقاء والمجد. أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له. غنى كل فقير وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف. فكيف تنفقر في غناك؟ وكيف تصل في هداك؟ وكيف تدل في عرك؟ وكيف تنصاف في سلطانك؟ وكيف تخشى غيرك والامر كله اليك. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما أجرى نبيا عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا. وبعد. أيها الأخوة الكرام، ففي جسم الإنسان غدة صغيرة وزنها عند الولادة خمسة عشر جراما تقريبا بجوار القلب اسمها الغدة الصغترية أو التيموس. وهذه الغدة لها مهمة خطيرة في جسم الإنسان ومهمتها تدريب الخلايا للمقاومة على معرفة العدو.

تدرب الخلايا على معرفة العدو ومواجهته، وتكون هذه الغدة كبيرة في السنوات الأولى من عمر الطفل. ثم تضمر شيئا فشيئا بعد البلوغ. بعد أن تركت في الجسم ذاكرة مناعية يستطيع الجسم من خلالها معرفة عدوه ومهاجمته والقضاء عليه. هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين. تكفل الله المربي جل جلاله بجسمنا أن يعرفه أعداءه حتى لا يدخل إليه جسم غريب ويعاديه وهو لا يدري. تكفل المربي رب العالمين بأجسامنا أن يعرفنا أعداءها، وكلفنا أن نعرف أعداءنا في الدنيا والآخرة. الذين يكيدون لنا ويريدون بنا شرا لتنتقي شرهم. وننجو ديننا. ونستحق ربهنا. الحقيقة الأولى. ليس هناك حياة وردية خالية من الأعداء. منذ أن خلق الله الخليقة. خلق حقا وباطلا. والحق والباطل يصطرعان. وهذا مفهوم العداوة. فإذا كنت على الحق. فانت عدو للباطل. ومن كان على باطل فهو عدو للحق. وهذه سنة المدافعة من أول يوم خلق فيه آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة. أما الحياة الوردية الخالية من الأعداء سلم وامان. وليس هناك عداوات. فهي في أذهان الحالمين فقط. ليس لها وجود على ارض الواقع. منذ أن خلق الله آدم عليه السلام بدأت عداوة الشيطان له من اللحظة الأولى.

قال تعالى مخاطبا آدم عليه السلام ان هذا اي الشيطان ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. حتى ربنا جل جلاله مالك الملك رب العالمين المنعم المتفضل الذي يمدنا بما نحتاجه من نعمة الإمداد ونعمة الإيجاد ونعمة الهدى والرشاد. حتى ربنا الذي أعد لنا جنه عرضها السماوات والأرض. حتى ربنا الذي خلقنا ليرحمنا. حتى ربنا الذي خلقنا لنريح عليه. لا ليرج علينا. وأعد لنا جنه عرضها السماوات والأرض. له أعداء. قال تعالى ويوم يحشر الله إلى النار قوم يوزعون. وقال أيضا. من كان عدوا له عدوا له وملأته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين. أردت من المقدمة أن أقول ليس هناك امرؤ إلا له عدو. بروي. والرواية هنا للاستئناس لا للإثبات أن موسى عليه السلام ناجى ربه في الليل فقال يا رب لا تبق لي عدوا. فقال له يا موسى هذه ليست لي، ليس هناك جهة في الأرض لا عدو لها هذه حقيقة. أيها الأخوة الكرام. والعداوة عداوة، عداوة حال وعداوة عداوة الحال عدو ظاهر بين يريد بك شرا، يكيد لك، يتأمر عليك. واضح وعداوة المقال لا تطنه عدوا، لكننا الله من أشد الأعداء.

قال تعالى. يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. قد تكون الزوجة عدوا لزوجها. وقد يكون الزوج عدوا لزوجته. وقد يكون الأولاد أعداء لابائهم وأمهاتهم. كيف ذلك؟ الزوجة التي تدفع الإنسان في الدنيا. أن يأكل المال الحرام من أجل أن يؤمن لها ما تحتاجه هي عدو لزوجها. عداوة. مال. الزوج الذي يترك زوجته تخرج كما يحلو لها في الطرقات دون لباس شرعى. عدو لزوجته. يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة. وهو لم يفعل. الأولاد الذين يلحون أبائهم إلى أن يبيعوا دينهم من أجل أن يعلموهم في مدارس محددة. يلحونهم أن يفعلوا ما يحلو لهم. دلالا على الأب. هم أعداء لوالدهم. أيها الأخوة الكرام. هذه عداوة المال. إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم. أي في المال فاحذروهم. وجب التحذير من هذه العداوة لأنها غير ظاهرة. ومن أعظم أعداء الإنسان الجهل. والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به. العدو الحقيقي الظاهر لا ينال من الإنسان كما ينال منه جهله. لذلك قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم لأن الجهل عدو من أعدى أعداء الإنسان.

أيها الكرام عدو الإنسان الأول الشيطان. وكل من بعده تبع له، والشياطين نوعان شياطين الإنس وشياطين الجن. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا. لكل نبي عدوا. لما ذهب نبينا صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل. قال له ورقة ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال صلى الله عليه وسلم. مستعجبا مستغربا. أومخرجي خريجهيم. ما الذي يدفعهم إلى إخراجي من مكة وأنا الصادق الأمين الذي ما جربوا عليه كذبا أبدا؟ أنا ابن المعروف نسيبا. أنا المعروف نسيبا. أنا المعروف أمانة وصدقا أومخرجي هم. فقال ورقة. قال ما أتى نبي بمثل ما أتيت به إلا عودي. لا بد من أن يعاديك الناس. أنت تريد أن تخرجهم من الظلمات إلى النور. وهم يرون أنك تريد أن تقضي على مصالحهم فسيعاد إليك الناس. أيها الإخوة. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. قدم شياطين الإنس على شياطين الجن. تقديم أهمية. لأن شيطان الجن لا يملك إلا الوسوسة. ما عنده أسلحة ولا قوات ولا قتال ولا طائرات ولا مسيرات. عنده وسوسة ويخنس. إذا استعذت بالله تعالى من شر الوسواس الخناس.

هذه إمكانياته ما أعطاه الله إمكانيات فوق ذلك. لذلك يقول. لا سلطان لي عليكم إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي. لم يجعل الله تعالى له سلطانا. لا يملك إلا أن يوسوس. كمثل إنسان اشتكى إلى مخفر الشرطة. بأن رجلا من الناس أساء إليه. وأوقعه في حفرة. فكسرت أضلاعه. فلما مثل بين يدي رئيس المخفر سأله رئيس المخفر هل دفعت إلى الحفرة؟ قال لا. قال هل أشهر في وجهك مسدسا حتى تنزل مكرها؟ قال لا. قال فما الذي فعله إذن؟ قال قال لي انزل. فنزلت. مضحك هذا الرجل. هذا حال الشيطان مع الناس. وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم. فشيطان الجن ليس له سلطان بوسوس ويستجيب له المغفلون. لكن شياطين الإنس أعظم خطرا. ففي أيديهم وسائل أخرى غير الوسوسة. ويظهرون بمظاهر مختلفة. ويغترون الناس وينافقون. ويكونون ذا وجهين. لذلك قدم الله شياطين الإنس على شياطين الجن. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن. أيها الأخوة الكرام. ومن أعجب العجب أن عداوة الشيطان ظاهرة جليلة، ومع ذلك يتبعه خلق كثير، قال تعالى.

إن الشيطان لكم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين. مبين طاهر لا تخفى عداوته، يريد أن يصل بالإنسان إلى النار، حتى في الدنيا لا تخفى عداوته لأنه يأمر بالسوء والفحشاء، وأي عدو أعظم من أن يؤمر الإنسان بسوء أو بالفحشاء بمنكر في الأقوال والأفعال. فالشيطان عدو مبين ومع ذلك يتبعه خلق كثير. قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن عبدوني هذا صراط مستقيم. إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا. أمر إلهي. لكن تخفى عداوته لأن له أساليب يتخفى من خلالها ويخفي مكره. فما أساليب الشيطان؟ الأول يظهر بمظهر الناصح. لا يأبئك الشيطان ويقول أنا سادك. وأما يأبئك ويقول أنا ساصح لك أنا انصح لك. أنا أريد بك خيرا. أنا أريد لك المتعة. أنا أريد لك أيها الفتاة الحرية في التبرج. يظهر بمظهر الناصح منذ عهد أبينا آدم عليه السلام. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. أقسم قسما بالله أنا انصح لكما أن أطيب شجرة هي تلك الشجرة التي منعت ما عنها. وذلك الحال الكثير. لا شأن لكم به. يظهر بمظهر الناصح. ثانيا يزين عمل السوء لما يريد من الانسان ان يعمل سوءا يزينه له.

كان تأتي بمقامه لها رائحة كريهة. ثم توضع في عليه محكمة. ثم تلف بورق الهدايا ويوضع عليها شريط احمر فتزين. لكنها قمامة يزين الشيطان للإنسان عمله. قال تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم. يزينه لا يقول له هذه سرقة، يقول له هذا حقا، حقا في المال. هم لا يدفعون زكاتهم الدولة لا تعطيك حقا. خذ الرشوة. يزين له. هذا ليس ديننا. هذا تراضي. هذه ليست قاحشة. واليوم هناك من شياطين الإس من يخرجون على الشاشات يزينون المعاصي للناس. ثالثا. يخطو بالإنسان خطوة خطوة حتى يقع في المحذور الكبير. فهو لا يأمر الإنسان قورا بالزنا. ولكنه يبدأ من إطلاق البصر. فإذا أطلق بصره واستمرارها دفعه إلى المصافحة. ثم إلى الخلوة. ثم إلى الصداقة. ثم إلى الانسجام ثم الموعد ثم اللقاء ثم الزنى يتدرج به. لذلك قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تتبعوا خطوات الشيطان. لا تمنشي وراءه لانه سيوصلك إلى المعصية الكبيرة. الرابعة والاخيرة يتبرأ من الانسان بعد ان يقع في المعصية والمحذور. قال تعالى. وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم. بهذه البساطة وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

ما أنا بمصرحكم وما أتم بمصرخي. يتبرأ من أتباعه في حركة مهينة جدا لمتنوع. وخبيثة وماكرة. يتبرأ بعد أن يوقعهم في المعصية والإثم والعياذ بالله. أيها الكرام. كما قلت لكم الشياطين نوعان. شياطين الإنس وشياطين جن وشياطين الإنس. ينهجون نهج إبليس. أعداؤنا اليوم أعداء الأمة الذين يريدون بدينا وبلادنا وننا شرا. يفعلون ما يفعله إبليس اللعين. لأنهم أتباعه. ويقتفون أثره. ويتبعون أساليبه وخيله. يتحدثون عن حقوق الإنسان. وقد داسوا بحوافره حقوق الإنسان. يزينون اتفاقيات العار. ويسمونها اتفاقيات ابراهيم. وإبراهيم عليه السلام براء منهم. ومنها. تزني. يزينون. يظهرن بمظهر الناصح الذي يريد سلاما وامنا. ورخاء. واستقرارا. ويضمرون. خبثا. ومكرا. وكيدا. ثم يتبرأون ممن تبعهم بعد ذلك ووثق بهم وأحسن الظن بهم بعد أن يحصلوا على مرادهم منه. يجب ان نحذر أعداءنا شياطين الانس كما نحذر شياطين الجن. النظام الشيطاني البائد نموذج لشياطين كثر. وقد مرت بنا امس ذكرى مؤلمة. وما أكثر الذكريات المؤلمة المؤلمة في عهده. محزنة الغوطة بالكيماء، وكانت أشد ألما فيما سمعت من وقتها على أهل دمشق، لأن من قضا لا يبعدون عنهم إلا مئات الأمتار، وهم غير قادرين على الوصول إليهم، بل غير قادرين على الترحم عليهم علنا، بل غير قادرين على إنكار الجريمة أصلا لشدة السطوة والبطش الذي كان.

أيها الأخوة الكرام. هذا النظام الشيطاني غر كثيرين، وهو يدعى أنه يحارب الإرهاب كما تفعل الأنظمة العالمية، هو ليس بدعا، وكان ينفذ سياسته. هو كان ينفذ سياستهم في المنطقة فكان يغر الكثيرين بانه يحارب الإرهاب ويزين جرائمهم كيف زينها بالممانعة والصمود والتصدي والوقوف في وجه الإمبريالية والرجعية زين جرائمه. أنا أدافع عنكم كما يفعل الشيطان. وخطابي أتباعه والمنافقين له خطوة خطوة. خطوة خطوة. حتى أوقعهم في شر أعمالهم. ثم هرب وحده وتركهم متبرئا منهم ومن نفاقهم تركهم يتجرعون الأسى والقلق والخوف وحيدن لا ناصر لهم ولا معين. فشياطين الإنس أيها الكرام يشابهون شياطين الجن في أدواتهم وأساليبهم وحيلهم. صدق الله تعالى إذ يقول. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم. وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة. يحسبون كل صدقة عليهم من العدو فاحذرهم قاتلهم الله أن يؤفكون. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنا أعمالكم قبل أن تزنن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطئ غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، واستغفر الله. الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد. كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. إنك يا مولانا سميع قريب مجيب للدعوات. اللهم برحمتك عنا واكفنا. اللهم شر ما أهنا وغمنا. وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفنا نلقاك وأنت راض عنا. لا اله الا انت سبحانه أنا كنا من الظالمين وأنت ارحم الراحمين. وارزقنا اللهم حسن الخاتمة. واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا. انت حسنا عليك أنكأنا. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا ديننا الذي فيها معاشنا، وأصلح لنا أحوالنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زادا لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. مولانا رب العالمين. اللهم أهلكنا في غرة كن لهم عونا ومعينا وناصرا وحافضا ومؤيدا وامينا. اللهم أطعم جرحتهم واكس عرثهم. وارحم مصابهم وداوي غربة. واجعل لنا في ذلك عملا متقبلا. يا ارحم الراحمين واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا. اللهم مجري السحاب منزل الكتاب هازم الأحزاب سريع الحساب.

أهزم الصهاينة المعتدين ومن والاهم ومن أيدهم ومن وقف معهم في سر أو علن. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. اللهم انهم قد طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وأنت لهم بالمرصاد. فصب عليهم سوط من عذاب. يا ارحم الراحمين يا اكرم الاكرمين. اجعل بلادنا امنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين. واصرف عنها عداوة المعتدين ومكر الماكرين، وتأمير التآمريين وكيد الكائدين، ووفق القائمين عليها للعمل بكتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم. عباد الله. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.